

الأدب العربي، السنة الحادية عشرة، العدد الأول
ربيع و صيف ١٣٩٨ هـ. ش. ٢٠١٩ م

جدلية الأنا و الآخر في أشعار عزالدين المناصرة المقاومة

مریم عباسعلی نژاد

طالبة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة تربية مدرس

خليل پرويني*

أستاذ في اللغة العربية وآدابها بجامعة تربية مدرس

هادي نظري منظم

أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها بجامعة تربية مدرس

سيد فضل الله ميرقادي

أستاذ في اللغة العربية وآدابها بجامعة شيراز

صفحة: ١-٢٢

تاريخ الإستلام: ١٦/٠٢/١٣٩٧ هـ. ش، تاريخ القبول: ١٩/٠٤/١٣٩٧ هـ. ش

الملخص

إن من أبرز تجليات الأنا في مظهريتها الذاتية هو تجليها من خلال النظر إلى (الآخر) بوصفه مقابلا حيويا منتجا، و إن النظرة إلى (الآخر) حضاريا و ثقافيا تعتمد بالدرجة الأولى على طبيعة الأنا الناظرة و مشكلاتها مع (الآخر) و نظرة مجتمعتها إليه، فإذا نتجلى (الآخر) في مرآة الأنا، استنادا إلى طبيعة العلاقة التي يؤلفها جدل التفاعل أو الحوار أو الصدام بينهما، و هذه العلاقة تحرض الأنا على الإظهار بالوجود و التعبير عن نفسه. تمثل أشعار عزالدين المناصرة مجالا واسعا لدراسة الأنا و (الآخر) و الجدلية و العلاقة بينهما، حيث طرد الشاعر من وطنه و عاش فترة زمنية في بلد (الآخر)، فهو يصف (الآخر) بأنواعه المختلفة في أشعاره و من خلال تصويره للآخر تتجلى ذات الشاعر. لقد درس هذا البحث صور الأنا و (الآخر) بجميع أنواعهما عن طريق استقراء أشعار المناصرة المقاومة معتمدا على مبادئ الصورولوجيا و دراسة أنواع صور الأنا و (الآخر) فيها. تؤكد النتائج أن الأنا للشاعر تتجلى تجليا واضحا و مقصودا في أشعاره لاسيما المقاومة منها بكل أنواعها المختلفة، أي الأنا الفردية و الجماعية و الإنسانية، و يصور المناصرة (الآخر) بنوعيه: الأجنبي المخالف و المضاد له و غير الأجنبي من أبناء وطنه الذي لا يشاركه هوممه، لكن (الآخر) في أغلب الأحوال لا يظهر بصورة تشكيلية مستقلة في قصائده على نحو يمكن تشخيصه و محاورته.

الكلمات الدليلية: الأنا، الآخر، الصورة، الصورولوجيا، عزالدين المناصرة.

*. الكاتب المسؤول: parvini@modares.ac.ir

١. المقدمة

بدأ الاهتمام في الدراسات العربية المعاصرة بأحد فروع الأدب المقارن و شغل الباحثين و أفكارهم و خاصة في منتصف القرن العشرين برز جليا لديهم و هي قضية الأنا و (الآخر) ضمن دراسة الصورولوجيا أي دراسة الصورة الأدبية. ظهر هذا المنهج في أدب الرحلات ضمن الأدب المقارن ثم انتقل إلى الأنواع الأدبية الأخرى. يتحدد مفهوم دراسة الصورة الأدبية من رؤية الأدب المقارن، في جملة الدراسات المقارنة التي تعني بتصوير تمظهر (الآخر) في أدب الأنا أو تمظهر الأنا في أدب (الآخر). و قد حظيت هذه الدراسات باهتمام كبير في الدراسات المعاصرة و توسعت و أصبحت جزءا من دراسات النقد الأدبي لاسيما عند الغرب، نظرا إلى أهميتها في العلاقات بين الأمم و الشعوب لاسيما وإنما نعيش في عالم يمجج بالصراعات، و أعمال العنف، فلم يعد أي بلد بمنأى عن الحاجة إلى معرفة الآخرين. إن دراسة التمثيلات الأدبية للآخر، و مواجهتها بتمثيلات الذات تشكل منحى جديدا و مثمرا في الدراسات النقدية و تشكل في الوقت نفسه مساهمة قيمة في حوار الثقافات. تحتل هذه القضية في أشعار شعراء المقاومة لاسيما عزالدين المناصرة المنزلة البارزة و ذلك بسبب أنه من شأن الشاعر الحديث أن يكون مهتما بقضايا عصره و رغم النكسات التي ألمت بأتمته محاولا معرفة نفسه و التعريف بشعبه إلى الآخرين، ربّما أدى هذا التعرف بين الأمم إلى التفاهم و البعد عن الحروب.

يرمي البحث من خلال دراسة أشعار المقاومة للمناصرة أن يظهر أنواع (الآخر) في شعره و أن يبحث عن الصور العامة للأنا بأنواعها المختلفة كما يبرز كيفية تفاعل الأنا مع (الآخر) و توافقهما أو إختلافهما مع البعض و يحاول أن يلقي الضوء على مسألة الرأي العام العربي إزاء (الآخر) و هي قضية توجد على نطاق ضيق و محدود، ربما يرجع السبب في ذلك إلى عدم معرفة الأنا العربي للآخر لاسيما الغربي و الإسرائيلي معرفة دقيقة أو عدم رغبته في معرفته؛ و من هنا تأتي أهمية هذه الدراسة حيث إنّ معرفة الآخرين و الثقافات الأخرى تؤدّي إلى التفاهم بين الثقافات المتنوعة و مواجهة الإنسان بأخيه مع ظهور القيم الخالدة كالمحبة و الأخوة و الخير، فرّما معرفة (الآخر) و ازدياد الأخوة و المحبة تنأى الحروب و العنصرية و تخلق عالما أكثر إنسانية و تسهم في بناء روح جديدة، فالرغبة في المساهمة و لو بالنزر اليسير في تحقيق هذه المهمة هي التي حفزتنا على الاهتمام بهذا الموضوع.

يحاول البحث الإجابة عن أسئلة التالية:

١. ما هي ملامح صور الأنا في أشعار المناصرة و أنواعها المختلفة؟

٢. ما هي أنواع الآخر في أشعار المناصرة؟

٣. كيف يستحضر المناصرة الآخر في أشعاره؟

اعتمد البحث على المنهج المتكامل لوصف و تحليل الأشعار بعد استقراءها، مستفيداً من معطيات المناهج الأخرى لاسيما المنهج التاريخي حيث يعتمد على تتبع موضوع الصورولوجيا من حيث نشأتها وصولاً إلى العصر المعاصر و الآراء المختلفة حول مفهوم الآخر و كذلك المنهج النفسي بسبر أغوار نفس الشاعر و معرفة حقيقة كوامنه، كذلك يعتمد على نظرية التلقي بوصفنا المتلقين الإيرانيين من شعر الشاعر الفلسطيني.

لم ينحصر الصورولوجيا في العصر المعاصر حيث أن العرب ذات علاقات قديمة مع الروم و الفرس و قام بعض أدباءهم بتصوير الآخرين في آثارهم كما نجد صورة الفرس في كتاب البخلاء للجاحظ حيث قام بدفاعه عن العرب في وجه الشعوبية المعتزة بالساسانية. و في العصر العباسي كذلك كثرت علاقات العرب بالأمم الأخرى و أسهل لهم الأسباب لتصوير الثقافة و الشخصيات الأخرى في آثارهم كما نجد في آثار ابن نباتة المصري و الشريف الرضي تصاوير عن بلاد ايران و الشام و شخصياتهم. أو نرى في أشعار المتنبي صوراً عن غير العرب و غير المسلم و الذي قام بمدحهم أو ذمهم على أساس وصفه أيهم. إذن موضوع الأنا و (الآخر) و العلاقة بينهما و تصوير البعض عن البعض موضوع ذات عراقة في الأدب القديم و ذات أهمية بالغة حتى منذ القديم.

نظراً لأهمية موضوع الأنا و (الآخر) و العلاقة بينهما و الآثار التي تنعكس في المجتمعات نتيجة لمثل هذه الدراسات، فقد أنجزت دراسات عديدة حول هذه الموضوع من الدراسات العربية ما يلي:

- ماجد النعامي. «صورة الآخر في شعر انتفاضة الأقصى». رصد الباحث في هذا البحث علاقة الأنا الفلسطينية و الآخر حسب الزمان و المكان و كذلك درس ردة فعل الأنا الفلسطينية على الآخر. وصل الباحث إلى هذه النتيجة أن الفلسطينيين رسموا للآخر صورة تختلف عنها في أي مكان آخر لأن الآخر في فلسطين ليس مجرد عابر أو ضيف بل غاصب للأرض و الوطن.

- فليح مضحي أحمد السامرائي و الدكتور محمد شفاء عبدالله(-). «تجليات الأنا الشعرية بدلالة الآخر. قراءة في شعر فدوى طوقان». قام الباحثان بدراسة المفاهيم النظرية للأنا و الآخر و تجلياتهما و في القسم التطبيقي للبحث درسا كيفية تجلي الأنا في أشعار طوقان حيث أنها تجلت تجليا واضحا و في كل مراحلها الشعرية و على مختلف المستويات، ثم بحثا رؤيتهما للآخر على أساس أنها عاشت فترة زمنية في مكان الآخر و زمنه فوصفته وصفا مباشراً.
- إياد عماوي (٢٠٠٧). الأنا و الآخر و دورها في رسم و تحديد العلاقة بين الوطن العربي و الغرب. قد قام الكاتب في أربعة فصول في هذا الكتاب إلى دراسة صورة العرب عند الآخر الغرب و صورة الآخر الغرب عند العرب و العلاقة بينهما و في الفصل الرابع خاصة يتطرق إلى دراسة صورة الفلسطينيين عند الغرب و الأمريكيين.
- سلاف بوحلايس (٢٠٠٩/٢٠٠٨). «صورة الأنا و الآخر في شعر مصطفى محمد الغماري». قام الباحث بالتعريف اللغوية و الاصطلاحية للصورة و الأنا و الآخر و في القسم التطبيقي للرسالة بحث عن تجليات صورة الأنا و الآخر في أشعار الغماري و في فصل آخر درس تجليات صور الأنا و الآخر من خلال بعض الثنائيات كالموت و الزمان و المكان. إطار هذه الرسالة إطار منظم و ممنهج يساعد الباحثين على دراسة مثل هذا الموضوع في اشعار الآخرين.
- ماجدة حمود (٢٠١٣). إشكالية الأنا و الآخر (نماذج روائية عربية). قامت المؤلفة في هذا الكتاب بعد مقدمة نظرية في طرح بعض قضايا الصورولوجيا بعمل تطبيقي في هذا الإطار حيث درست صور الأنا و الآخر في عدة روايات عربية كرواية بعيدا إلى هنا لإسماعيل فهد إسماعيل و رواية حجول من شوك لبثينة خضرمكي و غيرها. و من الدراسات الفارسية:
- بجمن نامور مطلق (١٣٨٨). «درآمدی بر تصویرشناسی، معرفی یک روش نقد ادبی و هنری در ادبیات تطبیقی». في الحقيقة هذه المقالة تعتبر من أهم المصادر النظري في موضوع الصورولوجيا و تعريف مبادئها في ايران و مؤلف هذه المقالة هو أول من أرسى دعائم هذه الرؤية النقدية في ايران. يقوم المؤلف بتعريف الصورة و بيان أنواعها، ثم يعرف الآخر من خلال الأدب المقارن.
- خليل برويني و هادي نظري منظم و كاوه خضري (١٣٩١). «صورة ماياكوفسكي في شعر عبدالوهاب البياتي و شيركوييكهس «دراسة صورولوجية في الأدب المقارن». تطرق الباحثون في هذه المقالة إلى تعريف علم الصورة أو الصورولوجيا، ثم قاموا بدراسة تطبيقية لصورة ماياكوفسكي

و هو الآخر الروسي في شعر الشاعر العربي و الكردي و كذلك درسوا مواطن التلاقي و الخلاف في تصويرهما عن هذا الآخر الروسي.

- مريم السادات ميرقادي (١٣٩١-١٣٩٢). «الصورة الفنية في شعر المقاومة الفلسطينية؛ عزالدين المناصرة نموذجاً». هذه رسالة الماجستير و قد تطرقت الباحثة إلى دراسة الصور البلاغية الراقية و التصاوير الفنية في أشعار المناصرة معتمدة على المنهج الوصفي- التحليلي ثم بينت مدى تفاعله مع عناصر المقاومة.

رغم الدراسات الكثيرة التي تطرقت إلى هذا الموضوع و كذلك الدراسات التي تناولت أشعار عزالدين المناصرة من وجهات نظر مختلفة لكنها لم يقدم أي بحث حتى الآن بدراسة صورة الأنا و (الآخر) في أشعار المناصرة، فلذلك جاء هذا البحث و يختار هذا الموضوع ليساعد المتلقي من أشعار هذا الشاعر الكبير على معرفة أشعاره و عالمه الشعري أكثر عمقاً.

٢. المفاهيم النظرية

قبل الوصول إلى القسم التطبيقي للبحث هناك مفاهيم و مصطلحات أساسية في الموضوع يجب الحديث عنها و هي:

٢-١. الصورولوجيا

الصورولوجيا أو الصورائية حقل من حقول الأدب المقارن و من أول المجالات التي تطرق إليها الأدب المقارن كما ذهب إلى ذلك غي ميشو (Guy Michaud)، الفيلولوجي الفرنسي (١٩١١) الذي أشرف على العديد من الرسائل في هذا الاختصاص، يسميها علم الصورة و ينسبها للأدب المقارن، و ذلك عند كلود بيشوا (Claude Pichois) (١٩٢٥)، و أندري روسو (Andrei Rosu)، المنتقدان الأدبيين الفرنسيان اللذان يذهبان إلى أن دراسة الصور فرع حديث من الأدب المقارن (راجع محمد، ٢٠١٣: ٤٤ و ٤٥).

الصورولوجية تعد دراسة الصورة الأدبية لبلد (الآخر) و ثقافته و هويته بجميع مكوناته، إذ أن الإنسان يفكر دائماً بنفسه و يتخيل الآخرين و يقارن نفسه بهم. تخيل (الآخر) يسفر عن رسم صورة له و ينتهي إلى مقارنة الذات ب(الآخر) و تؤدي هذه المقارنة إلى معرفة الذات بنفسها. عندما تقارن الذات نفسها ب(الآخر) تتعرف على مواضع التشابه و الاختلاف بينها و بين (الآخر) و تقوم بالتعامل معه على أساس الصورة التي رسمتها عنه في بالها؛ فإذا كانت صورة

(الآخر) صورة إيجابية تقوم الذات بالتعامل معه إيجابيا و إذا كانت سلبية تقوم الذات بمواجهته و الجدلدية معه و اثبات نفسها أمامه.

٢-٢. موضوع الصورولوجيا:

موضوع الصورولوجيا هو دراسة صورة الأنا و (الآخر). لكن (الآخر) ذاته قد أثار كثيرا من الجدل و الاختلاف حوله، حيث أن الكثيرين يتوسعون في مفهومه و يرون أن «مفهوم الآخر هو المضاد للذات و الوجه المقابل أو النقيض لها، و تأسيسا على ذلك، فإنهم يوسعون دائرة المفهوم بحيث يشمل كل من يغاير الذات على الإطلاق، و إذا طبقنا ذلك على الشعر فإن الممدوح و المهجو و المرثي و المرأة و غيرهم يندرجون في هذا الإطار» (عيسى، ٢٠١١: ٥).

من هؤلاء الذين توسعوا في مفهوم (الآخر) طوني موريسون^١ (Toni Morrison)، التي تطرقت في كتابها النقدي، صورة الآخر في الخيال الأدبي، إلى دراسة (الآخر) في المجتمع الأميركي بوصف (الآخر) الإنسان الموسوم بالبياض و ليس الأجنبي المضاد عن مجتمعا و لا يخرج عن نطاق الأمة التي تنتمي إليها و محمد أنقار و محمد مشبال يدافعان عن هذه الرؤية، بل يعتقد مشبال أنها تزيد الأدب المقارن غنى «مادامت تفتح أمامه إمكانيات التنقيب عن الخصائص الإنسانية المفارقة داخل بوتقة الأمة الواحدة» (موريسون، ٢٠٠٩: ٥).

و كذلك حيدر إبراهيم علي^٢ الذي يتميز عن غيره في التركيز على (الآخر) ضمن المجتمع الواحد ذي السمة الفكرية و العقديّة الواحدة، على العكس من الذين ينقدون (الآخر) من موقع العرقية و الحضارية ببعده الجغرافي.

و الكثير من الدارسين يدرجون (الآخر) تحت مفهوم الأجنبي الذي يخالف الأنا في الجنس، و الإلتناء الديني، و الفكري ببعده الجغرافي كما يقول نامور مطلق «موضوع الصورولوجيا في الأدب المقارن هو دراسة صورة بلاد و أشخاص أجنبي في أعمال شاعر أو كاتب أو في مدرسة و فترة زمنية.» (نامور مطلق، ١٣٨٨: ١٢٢). أو يقول فوزي عيسى: «إن مفهوم الآخر من وجهة نظرنا يبدو أكثر تحديدا فنعني به: الأجنبي المضاد للذات العربية و الذي فرضت الظروف السياسية و الإجتماعية و الجغرافية و الحضارية أن يكون اتصال و تماس و علاقات و حوار بين الطرفين» (٢٠١١: ٥). أو مثلا حسن حنفي في كتابه، مقدمة علم الإستغراب، يقصد من خلال الأنا، المجتمع الإسلامي الشرقي و (الآخر) هو المجتمع الغربي و العلاقة و التعامل قديم بينهما حيث يقول «و قد بدأ التراث الغربي يكون أحد الروافد الرئيسية لوعينا القومي، و أحد مصادر المعرفة

المباشرة لثقافتنا العلمية و الوطنية. و قد كان الآخر باستمرار حاضرا في وعينا القومي و في موقفنا الحضاري منذ قدماء اليونان حتى محدثي الغرب» (١٩٩١: ١٥). و الجدل حول مفهوم (الآخر) لم يزل باقيا.

و ها نحن درسنا (الآخر) في اشعار المناصرة بمفهومه الأوسع أي غير المقصور على الأجنبي المضاد لذات الشاعر، لأن الذات يمكن أن تنقسم على ذاتها و أن تحدث اختلافات عديدة بين أبناء بوتقة الأمة الواحدة و ذلك على حسب الخصائص الإنسانية المفارقة و كم من صراعات طبقية حدثت عبر التاريخ في جميع المجتمعات. فكيف لا يمكن اعتبار أبناء أمة واحدة ذات رؤية مختلفة بل معارضة لأبناء أمته من قبيل (الآخر) ربما لا تندرج دراسة (الآخر) على هذا الاعتبار ضمن الأدب المقارن لكنه لا نقاش حول إدراج أبناء الوطن الواحد ذات رؤية و مواضع مختلفة ضمن (الآخر) في الدراسات الأدبية و النقدية.

٢-٣. أنواع الصور

الصور التي ندرسها من خلال الصورولوجيا تنقسم إلى قسمين: إما صور مباشرة و إما غير مباشرة و عن طريق الوساطة. تأتي الصور المباشرة من علاقة و تعامل الأنا مباشرة بـ(الآخر) و العيش في بلد (الآخر) و في ثقافته و يحصل عن طريق «تأثير شعب في آخر و تركيز أدباء الشعب المتأثر على تصوير الشعب المؤثر في فن أدبي معين كالرواية، أو القصة القصيرة، أو المسرحية، أو الشعر» (حنون، ١٩٨٦: ٦٩). أما الصور غير المباشرة فهي الصور التي تأتي على أساس الصور الأخرى. مثلا الشاعر لم يعيش في بلد (الآخر) و لم يواجه ثقافته من قريب بل يصوره على أساس الصور التي قدمها الآخرون في آثارهم أو على أساس ما قرأ عنه في الكتب الأخرى. «وفي هذه الحالة يكون التركيز على حياة الكاتب، و مدى صلته بالبلد المقصود، ثم يبين كيف استقى معلوماته أو كيف رأى البلد رأى العين، و إلى أي حد كانت الصورة التي رسمها لذلك البلد صادقة أو كاذبة» (هلال، ٢٠٠٣: ٩٠).

٣. الأنا و الآخر لغةً و اصطلاحاً

٣-١. الأنا

ضمير المتكلم و هي أعرف المعارف. قد ذكر العلماء عبارات عدة في تعريفها مثلا قول ابن سينا: «المراد بالنفس ما يشير إليه كل أحد بقوله أنا» (ابن سينا، ١٩٥٢: ١٨٣) و قال الرازي «نفس لا معنى لها إلا المشار إليه بقولي أنا» (د.ت: ٧٢).

و جاء في المعجم الفلسفي: «الأنا مفهوم فلسفي يدل على ذات الافعال المتعمدة أي الأفعال التي تأخذها الشخصية بالحسبان و تتحمل مسؤوليتها» (حسيبة، ٢٠٠٩: ١٠٣).

إذن المقصود بالأنا الجانب الواعي لذات الشخصية الإنسانية، و مشاعره و أفكاره تجاه كل ما هو خارج عنها و يحيط بها سواء أكان ماديا أم معنويا أي هي تمثل حلقة الوصل بين ذات الفرد و العالم الخارجي، ولا يمكن للأنا أن تظهر إلا من خلال (الآخر)، و ذلك لأن العلاقة بينهما متلازمة، و مستمرة و الأنا في الأصل جزء من (الآخر) ولكن ما يبرز الأنا و يحدد هويتها هو أفكارها و نظرتها و فلسفتها و رأيها المتميز.

يعتبر الأنا في الأدب ذات الأديب و مشاعره و أفكاره تجاه كل ما يحيط به و جميع ما يتعلق به ذات الأديب من الأرض و الوطن و الثقافة و العادات و غير ذلك مما يشكل هوية ذاك الأديب كما يذكر المناصرة العناصر المختلفة التي تشكل الهوية و تحرك الأنا للإقدام أو عدمه و يقول إن «اللغة، العرق، الدين، التاريخ المشترك، اللون، الطبقة، الجنس و المكان تلعب أدوارها في تحريك الهوية نحو الأمام أو نحو الوراء» (٢٠٠٤: ٣٣).

٣-٢. أنواع الأنا

- ٣-٢-١. الأنا الفردية و الشخصية: أي أنا الشاعر و المحاور التي تدور حول نفسه و مشاعره.
- ٣-٢-٢. الأنا الجماعية: بمعنى أن الشاعر لا يتحدث عن عواطفه و أغراضه النفسية، بل يقصد من خلال الأنا مجموعة من أمثاله في الزمان و المكان المعين إما من أبناء شعبه أو الغير.
- ٣-٢-٣. الأنا الإنسانية و البشرية: الذي يتجاوز حدود الزمان و المكان المعين و المحدد و الذي يطرح مسير الإنسان و مشاكله و ما يدور حول البشر بشكل عام (راجع: شفيعي كدكني، ١٣٨٠: ٨٩-٨٧).

٣-٣. الآخر

بمعنى الغير في اللغة كما ورد في لسان العرب و يعبر عنه أيضا بعدة ألفاظ ك«المختلف» أو «المغاير» أو «المتميز» و يقول البعض إن الضمائر الأخرى، مثل «أنت» و «هي» و «هو» و غيرها من الضمائر هي إشارة إلى (الآخر) أو «للا-أنا» في مقابل «الأنا» (راجع: السليمان، ٢٠٠٩: ٩١).

لا ريب أن الانسان كائن اجتماعي بطبيعة خلقه و لا يمكنه العيش بوحده دون أن يتعامل و يتواصل مع الآخرين إذ أن «قطب الأنا لا يستطيع أن يعيش إلا في علاقته بقطب الغير. و يقرر هيدجر (Martin Heidegger) أن الوجود بدون الآخرين هو نفسه صورة الوجود مع الآخرين بمعنى أن الشعور الفردي لا ينطوي على أي انفصال عن عالم الغير... و كما أنه ليس ثمة ذات بدون العالم، فإنه ليس ثمة ذات بدون الغير» (ابراهيم، د.ت: ١٥٣).

يلفت النظر في قضية الأنا و (الآخر) أن (الآخر) ليس من يخالف الأنا في الجنس أو الإنتماء الديني أو الفكرى أو العرقى فقط، بل يمكن أن تكون الذات مخالفة لشخصية الفرد نفسها و منشطرة على نفسها و يجادلها، حيث يستطيع المرء أن يكتشفها و يتعرف عليها من خلال هذه المجادلة. أو ربما يكون (الآخر) مشتركا مع الأنا دينا و عرقا و فكرا لكنه يخالفه في بعض الأمور كما يؤكد المناصرة أن «الإشتراك مع الآخرين في الأفكار المتعددة، يقابله الاختلاف أيضا مع الآخرين في أفكار كثيرة. لهذا، يفترض أن لا نشاهد الربيع الملائن من الكأس، و ننسى عطش الفراغ الباقي في الكأس» (٢٠٠٤: ٤٦).

إذن (الآخر) في الأدب هو كل ما يحيط بالشاعر و كل ما هو خارج و مختلف عن ذاته، و هو «مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والسلوكية والفكرية التي ينسبها فرد ما أو جماعة إلى الآخرين الذين هم خارجها» (ياسين، ٢٠٠٦: ٦). (الآخر) هو الذى يقع مقابل الأنا (الشاعر) و يتضح لنا ملامح هوية الأنا عند لقائه مع (الآخر) و عن طريق العلاقة مع (الآخر) «إذ إن العزلة عنه، تجعلها ذات بعد واحد، فيسرع إليها العطب و الجمود، في حين نجد اللقاء معه، يمنحها أبعادا مركبة، تفتتح على أكثر من عالم» (حمود، ٢٠١٣: ١٧) و كما أشرنا في السابق لكل هوية عناصر خاصة و متعلقات نحو اللغة و العرق و الدين و الثقافة و العادات و غيرها. طبعا تمتلك شخصية (الآخر) هذه العناصر التي تقع مقابل عناصر الأنا و تبدأ الجدلية و الحوار بينهما في الأدب.

٣-٤. أنواع الآخر

الجدير بالذكر أن هناك نوعين من (الآخر): (الآخر) الخارج عن ثقافة الأنا (الشاعر) و يختلف عنه لغة و ثقافة أو بعبارة أخرى هو «الأجنبي المضاد للذات العربية و الذى فرضت الظروف السياسية و الإجتماعية و الجغرافية و الحضارية أن يكون هناك اتصال، و تماس، و علاقات، و حوار بين الطرفين» (عيسى، ٢٠١٠: ٥). و هو موضوع الأدب المقارن و (الآخر) الذى لا يختلف عن

الأنا (الشاعر) ثقافة و لغة و جنسا، بل ربما يكون من أبناء وطنه لكنه صاحب فكرة و رؤية مختلفة عنه؛ بناء على هذا التعريف يمكن إعتبار علاقة شخصي ما مع الآخرين في مجتمع واحد، من ضمن علاقة الأنا و(الآخر)، وليس من الضروري أن يكون (الآخر) مضادا وعدوا لأنا و هذا النوع من (الآخر) هو موضوع الصورولوجيا في معناها العام.

٤. جدلية الأنا و الآخر في أشعار المناصرة

قبل الولوج إلى عالم عزالدين المناصرة الشعري و الكشف عما يحمله من صور رسمها للأنا و (الآخر) من خلال أبرز قصائده التي تدل على جدلية الأنا و (الآخر)، كان لابد من الإشارة إلى عوامل عديدة في تشكيل صورة (الآخر) عند الشاعر و الظهور في أدبه، منها صدمة الإستعمار لاسيما بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧، و الظروف السياسية المحيطة و المجتمع القاسي، الطرد من الوطن و الإحساس بالغرابة أو بشكل عام إذا أردنا الإيجاز بسبب طبيعة الأدب المقاوم و الأدب الفلسطيني بأنواعه المختلفة سواء كان رواية أو شعرا، إذ يتسم بالواقعية الاشتراكية و يهتم بما يجري في المجتمع و يحاول طرح القضايا المتعلقة بالشعب الفلسطيني و الأرض المحتلة.

إن نظرة الأديب إلى العلاقة الإستراتيجية بين الأنا و (الآخر) تتمتع بخصوصية و تميز و هي تنبع من الطبيعة الوجودية و الحساسة لأنا الأديب و طبيعة مكوناتها الخاصة، ف(الآخر) صديق و عدو لنا، صديق إذا تمكنا منه و فتحنا له قلوبنا و أخذنا منه ما يوافقنا، و عدو إذا تمكن منا و وهبنا قلوبنا و وضعنا نفوسنا في الحال التي توافقه.

و ربما كانت علاقة الأنا عند عزالدين المناصرة تقوم على طبيعة الموقف الشعري و الحياتي و تنهض على مواقف إنسانية و وجدانية و ثقافية و موضوعية حيث أن المناصرة يميل إلى المثاقفة و الحوار أكثر من الآخرين فهو يساعد في إيجاد المثاقفة بين الأمم و الشعوب عن طريق المثاقفة و التعاملات الثقافية، لكن هذا الميل لا يخفف من غضبه على المحتل و العدو الصهيوني الذي اغتصب فلسطين و شرد أهلها ، فهو يصور (الآخر) في كثير من قصائده بصور تغذيها احساسا عميقا من الألم و الحزن إذ يرى وطنه المحبوب اغتصب و شرد مواطنوه و الحقيقة أن اغتصاب هذه الأراضي ليس مجرد اغتصاب قطعة جغرافية بل بالنسبة للشاعر العربي سلب لحيته و بهجته فلذلك يحرص المناصرة على كشف حقيقة العدو الغاصبة و الألفاظ و التشبيهات التي تستخدمها ملائمة للموضوع و تعبر عن عمق احساس الشاعر بالألم بعدما يشاهد أن وطنه يكاد ينهار و جميع الصور تشير إلى الدمار و الخراب الذي سببه الاحتلال.

٤-١. أنا في أشعار المناصرة المقاومة

إن تركز المناصرة حول نفسه بارز في كثير من أشعاره و بهذا التمرکز يكشف لنا عن أبعاد جديدة لواقعه و عناصر هويته. من أبرز طرق تركزه على الذات و التعبير عن مشاعره هو بروز ضمير المتكلم بشكلي «الأنا» أي الدال على المفرد و «نحن» أي الضمير الشخصي الموسع الدال على الجمع الذي يستخدمه الأديب أو الشاعر للتماهي مع الجماعة (راجع: داغر، ١٩٨٨: ٧٧).

دراسة ضمير المتكلم ذات أهمية بالغة في الدراسات النقدية الأدبية لأنه أبرز طريق في التعبير عن الذات تعبيرا لغويا لكن «هذه الأنا لا تكتسب حقيقتها و طبيعتها إلا من خلال الخطاب» (الشواش، ٢٠٠٦: ١٠٧) فالأنا من حيث منزلتها في الخطاب، لا تمتلك سلطانا مطلقا و ليست متكلمة صرفا و لا تدرك وظيفتها إلا فيما ينعقد له من علاقات التواصل مع (الآخر).

نرى كثيرا من نماذج بروز الأنا عند المناصرة في أشعاره، مثلا في قصيدته «تأشيرة خروج» حيث يقول:

أنا عاشقٌ من نبيدٍ و طينٍ / أنا عاشقٌ خلفَ بابك، أشكو، و لا تعلمين / ألا ترحين عداي....
على شرفةٍ أنتظرُ / فضاؤك سجنٌ كبير، له شرفةٌ واحدة / تُؤدِّي إلى بحرِ هذا الزمان الحزين / له دنجٌ ٣
أكحل القلب، يُفضي إلى صالةٍ من مطرٍ / كأنك جنيّة البحر، أو رعشة الياسمين / كأنك أسطورةُ
الحالمين / كأنك رُوحٌ على جرحنا، شاهدة / أنا منذُ خمسِ أنوح / أنا قبل طوفانِ نوح / أجوبُ
صحاريك، أسألُ عن واحةٍ أو جزيرةٍ / سأرحلُ عنك غداً، فاسمعي، اسمعي كلماتي الأخيرة...
(المناصرة، ٢٠٠١: ١١٣/٢).

الفكرة التي تلح على ذهن المناصرة و خياله هي الخروج من وطنه عن قريب و كيفية تحمله البعد عن الوطن و عن المتعلقات. يكشف لنا الشاعر في هذه القصيدة صورة الأنا الفردية من نفسه، حيث هو الشاعر عزالدين المناصرة، قد طرد من الوطن و الغد هو الموعد الأخير له و يجب أن يترك موطنه فيصور لنا معاناته و إحساسه بالحزن و الألم و الوحشة و عكس أزمة الذات التي ازدادت حدة، نتيجة إحساسه بالغربة و البعد عن الوطن المحبوب. في مثل هذه الصورة نستدل على الأنا الجماعية أيضا لأنه يصف الحزن و الألم و هذه الحالات هي إحساس كل فلسطيني مطرود من الوطن.

في مكان آخر يرسم المناصرة صورة عن الأنا الفردية و يقول:

أنا عزالدين المناصرة / سليل شجرة كنعان و حفيد البحر الميت / قبطان سفن الزجاج المحتملة
بالخروف / أسافر في مدن العالم كالتائر، أحمل رُموزاً و رسائل / من بني نعيم إلى كرم الدالية / هو

قَلْبِي الَّذِي يَتَمَدَّدُ تَحْتَ بَسَاطِيرِ الْجُنُودِ الْعُرَبَاءِ / شَلَالُ دَمِي فِي عَاصِمَةِ بَرْتُقَالِيَةِ صَهْبِلِ كَالْمُهْرِ / وَ لَا أَشْكُو / فَالْشُّكْوَى لِعِغْرِ الْحَلِيلِ مَدَلَّةٌ (المناصرة، ٢٠٠١: ١/٣٥٦).

ولد المناصرة في مدينة الخليل، إحدى مدن فلسطين المحتلة ذات عراقه تاريخية، و هذا الأمر أدى إلى إنشاء العلاقة بين ماضيه و حاضره. و البحث في آثار الحضارة الحالية و الميراث القديمة لكنعان و إنشاء العلاقة بينهما. نشاهد في هذه الأبيات تواجدا كاملا لشخصية الشاعر باعتباره الشخصية المحورية التي تمسك بزمام الأحداث، حيث في مونولوج داخلي يعرف هويته لمعرفة نفسه و ميراثه، و يضيف إليه وصفا ذا دلالة و هو فخره بعرقه ليؤكد صفة من أهم صفات المقاومة و الصراع ضد الإحتلال بالإشارة إلى ميراثه و ميراث كل فلسطيني. «يصبح كنعان مفهوما للهوية و بطاقة لهوية الشاعر في هذه الأبيات. يجعل المناصرة الشعر عنوانا لحياته حتى يعلم القادمون أنه من طائفة كنعانيين، المالكون الحقيقيون لفلسطين» (فلاحتي و الآخرون، ١٣٩٢: ٣٠٠).

إن تمسك المناصرة بميراثه الديني و التاريخي و الأسطوري ميزة بارزة في أشعاره المقاومة و ذلك بهدف «تحقيق مبدأ التواصل المتوارث مع الأرض، التواصل مع التاريخ، التواصل مع الحضارات القديمة التي نشأت في أرض الوطن، و أخيرا التواصل مع كنعان، كنعان الرمز و الدلالة معا» (أبولن، د.ت: ١٨) و الموارد جزء بارز من هوية الفرد. يرسم المناصرة عناصر هويته في كثير من أشعاره حتى يشير إلى عرقه و عراقه آباءه و يصور لنا مدى تماهيه مع التراث. فهو يصور عناصر الأنا الفردية و يقول:

وَ سَأَرْضُ عِنَبٍ دَابُوقِيٍّ^٧ / مِّنْ حَقْلِ الْآرَامِي / مِّنْ حَجَرِ رُخَامٍ فِي مَقْلَعٍ جَفْرَا
الكنعانية/ عنب دابوقي^٧... (المناصرة، ٢٠٠١: ١/٤١).

و في مكان آخر يقول:

أَنَا وَ الْمَسِيحِ / وَ لِدُنَا مِمَّنْطَقَةِ وَاحِدَةٍ / فَإِذَا لَمْ يَطِرْ فِي الصَّبَاحِ جَنَاحِي / عَلَيكَ بِأَنْ تَقْبِضَ الرِّيحَ / ثُمَّ تَشْمُ جِرَاحِي / مَعَ التَّفَلِّ فِي الْقَهْوَةِ الْبَارِدَةِ / أَنَا وَ الْمَسِيحِ رَاعِيَانِ.. / وَ أَنَا أَمْتَضُّ مِنْ عِنَبِ الْأَنْبِيَاءِ / فَارِغِ الرُّوحِ وَ الطُّولِ، قُرْبَ سَمَاءِ الْحَلِيلِ /... / أَنَا وَ الْمَسِيحِ / رَاعِيَانِ صِدِّ الْمَجُوسِ / أَنَا وَ الْمَسِيحِ / مَشِينَا عَلَى الشُّوكِ / ثُمَّ الْمَسَامِيرِ / ثُمَّ جُرْرْنَا وَرَاءَ الْحَيْوَلِ / وَ كَانَتْ وَرَائِي جُيُوشُ الْمُغُولِ (المناصرة، ٢٠٠١: ١/٦٦٦).

الأنا في هذه القصيدة تتسم بالأنا الجماعي و لا يقصد شخصية الشاعر فحسب، فهو يشير إليه ببعض الإشارات ك(مشينا على الشوك، ثم المسامير، جررنا وراء الخيول، ورائي جيوش المغول و..) و هي بداية تجعل القارئ يتساءل: من هو عامل مشيهم على الشوك و المسامير، ما القصد

من جيوش المغول؟ و ما علاقتها بالشاعر؟ كل هذه التساؤلات تجلب إلى ذهن القارئ المصاعب والمشكلات التي تحملها الشعب الفلسطيني من احتلال الوطن و الطرد منه. رمز المسيح قد شاع في الشعر العربي المقاوم و راح الشعراء يربطون همومهم الذاتية و قضاياهم الموضوعية بهذه الشخصية الدينية لأن «التراث الديني المسيحي بما يحويه من عذابات الصلب و مفاهيم التضحية و الفداء غنى بالإيحاءات و الرموز الشعرية المتناغمة مع عذابات الفلسطيني و همومه و تضحياته، و هناك درجة عالية من التطابق الموضوعي بين الفادي (المسيح) و الفدائي (المقاتل الفلسطيني)، فكلاهما يصلان ذروة العطاء و الموت من أجل أن يمتلك المعجزة، و المعجزة في الحالتين هي الخلاص للآخرين» (أبونضال، ١٩٧٧: ٧١) يرسم المناصرة في هذه الأبيات الأنا الجماعي الفلسطيني و قد شاركهم في مصاعبهم و همومهم بمصاعب المسيح.

إنما يصور الشعر الفلسطيني في أغلب الأحيان وجهين للشعب الفلسطيني: وجه الإباء و وجه المعاناة. لقد مثل أشعار المناصرة المقاومة هذين الوجهين في حياة الكفاح الفلسطيني تمثيلاً جيداً. فهو يصور لنا هذا الإباء و الكفاح الجمعي و يقول:

لن يفهمني أحد، غير الزيتون / شجرٌ، كصفائر أُمي، يحميني / من مطر الأيام الصعبة / أخضرٌ
أخضرٌ / مثل مياه خليج العقبة / و شجاعاً صلباً، كان، كما الزيتون (المناصرة، ٢٠٠١: ٣٦٠/٢).

لقد جرى حب الوطن في عروق جميع الفلسطينيين و في حياتهم. أما الصهاينة و القوى المحتلة لا يفهمون حبهم لأنهم قد جاءوا من مكان آخر و هم أجنب. لا يقصد المناصرة من ضمير متكلم الوحدة في يفهمني نفسه فحسب، بل هو يصور لنا إحساس كل فلسطيني في التثبث بالبقاء من جانب و من جانب آخر إشارة إلى عراقته و إصالته من خلال استخدامه الزيتون. «إن الغوص في أعمال المناصرة، ينبئ عن وجود عوامل في الوجود الفلسطيني، تجعله غير قابل للفناء، على الرغم مما بذله الصهاينة، و قوى الاستكبار العالمي، لتفريغ الأرض من أهلها، و تفريغ الفرد الفلسطيني، من تماسك حروفه الفلسطينية، و تفريغ أجدية الوجود من الشعب الفلسطيني بأسره» (عبيدالله، ٢٠٠٦: ١١) إذن الأنا في هذه القصيدة الأنا الجماعي الفلسطيني.

إن الله سبحانه و تعالى قد خلق الكائنات متميزة و لكل منها ميزاته الخاصة، لكنه هناك بعض المشتركات بين جميع أبناء البشر من أي بلد كان و من أي ثقافة. لا يكتفي المناصرة في آثاره بالبعد الفردي و الجماعي فحسب، بل يصور أحيانا الأحاسيس البشرية العامة و يجعل

أشعاره خاصة مجالاً للتعبير عن هذه الأحاسيس المشتركة كالخوف، و الرجاء، و الرفض، و التحدي، و الغربة و غيرها. فنراه يقول:

أَكَلْتَنِي الْغُرْبَةُ السَّوْدَاءُ يَا قَبْرَ عَسِيبٍ^٨ / جَارَتِي، إِنَّا غَرِيبَانِ بَوَادِي الْغُرَبَاءِ / نَبَعْتُ الشَّعْرَ وَ نَحْمِي
أَنْقَرَةَ^٩ / أَيُّهَا الْوَادِي الْحَصِيبِ / زَمْنَا مَرَّتَ عَلَيَّ الْقَبْرَ هُنَا يَوْمًا حَمَامَةً / يَا حَمَامَاتِ الشُّهُوبِ / أبلغني عَنِّي
التَّحِيَّةِ / قَبْلَ مَوْتِي لِلْحَبِيبِ... (المناصرة، ٢٠٠١: ٢/٢٩).

لما نقرأ هذه القصيدة لا نلبث أن نجد أنفسنا أمام الواقع النفسي الذي يمكن أن يصاب به ليس فقط الشاعر بل كل إنسان وقع بعيداً عن وطنه إما اضطراراً أو إختيارياً و هو الغربة و الإحساس بحالات نفسية خاصة و مؤلمة في الغربة و هذا مشترك بين أبناء البشر كلهم؛ فلذلك الأنا في هذه الصورة من نوعه الإنساني و البشري لأنه قد وقع في عالم الغربة و هذه التجربة متعددة و متداولة بين جميع أبناء البشر و من جانب آخر يمكن اعتبار الأنا من نوعه الجماعي، لأن الفلسطينيين خاصة مشتركون مع الشاعر في هذا الإحساس المؤلم و هذا الإمعان في الشعور بمحن الاغتراب و الإحساس بها و التي تؤكد ألفاظ مثل (أكلتني، الغربة السوداء، قبر عسيب، وادي الغرباء، الموت) هي التي ولدت هذا التصدع و الصدام بين الأنا و (الآخر) (المنفى) و الشاعر لا يوجد من يتجاوب معه إلا الحمامات التي تبلغ تحيته إلى موطنه.
و في مكان آخر يقول:

.../ لماذا إذا جازَ هذا الزمانُ علينا/ و صارتَ نوافذُهُ مُغلقة/ نُؤدِّنُ في المؤمنين، و أوجهُنا في
الرمال/ و أدمعنا كاللظى مُحْرِقَةً؟!/ و آذاننا بانتظارِ الذي سيَدُقُّ التوافدَ عندَ المساء/ لقدَ عَرَّوا يا
أبي/ لِيَعْتَلِقُوا غيرنا/ نُؤدِّنُ في جِرَّةِ الخوفِ، نرضعُ أطفالنا من هودِ الجبال/ و نرتقبُ السُّفْنَ المارقة/
ثنادين،... بيروتُ تُعلِنُ: كنعان مات (المناصرة، ٢٠٠١: ٢/٣٣٠).

تنوّع هذه القصيدة بين مجموعة من المشاهد التي تتنامى و تتكامل لتشكّل رؤية المناصرة في المنفى. الهدف من «نا» في علينا و سائر ضمائر المتكلم مع الغير هو الإنسان بشكله العام. الإنسان الذي يطرد من وطنه و يضطر إلى العيش في المنفى. يصور المناصرة في هذه الأبيات جور الزمان على الإنسان المنفي و يشبّهه بالذي يغلق النوافذ أيما إغلاق و غرضه من جور الزمان هو الطرد من الوطن و العيش في المنفى. ثم يصور حالة الخوف و اليأس الذي يجعل المنفي أن يحصر كلامه و يضيّق دائرة انتشاره حتى كأنه محصور في جرة. المنفي الذي يؤدّن لكنه بالوجه الذي أخفاه في الرمال. فأني لذلك الأذان أن يسمع؟ هذه الصور التي تبيّن مدى اليأس بسبب العيش في المنفى مشترك بين أبناء البشر كلهم.

٢-٤. الآخر في أشعار المناصرة المقاومة:

و في البحث عن (الآخر) نجد كلا النوعين من (الآخر) أى (الآخر) المختلف عن الشاعر لغمّة، ديناً، ثقافةً و ايدئولوجيا و هو عدوه الصهيوني الذي احتل وطنه و أراضيه ثم (الآخر) الذي لا يختلف عنه لغمّة و ديناً و ثقافةً و هو من أبناء وطنه لكنه يختلف عنه في موقفه من الاحتلال و الوطن المحتل.

في دراسة (الآخر) من نوعه الأول نراه في أغلب الأحوال يستحضر (الآخر) في صور سلبية و يصفه باوصاف تربطه بالوحشية و الافتراس و غيرها من الأوصاف السلبية، مثلا في قصيدة يقول:
هاجمتني الضباع/ و كانت مُحاصِرِي من جميع الجهات/ رأيت الحناجرَ وَجهاً لوجه/ وَ أَحَسَسْتُ
مِحْرَزَهَا ١٠ في العيون/ دُرْتُ صَوْبَ الشِّمالِ/ دُرْتُ صَوْبَ اليمين/ دُرْتُ لِلخلفِ عِشرين/ ثُمَّ انْجَهْتُ
لِناحيةِ في الأمام/ أمامكَ رُومٌ و خَلْفَكَ رُومٌ و في الجَنَباتِ/ فَفَرَرْتُ أن أُطَلِقَ النَّارَ نحو جميع الجهات
(المناصرة، ٢٠٠١: ٢ / ٣٣٨).

يرسم الشاعر في قصيدة هاجمتني الضباع، صورة عن نفسه و (الآخر) الذي هو العدو الصهيوني و يشير في القصيدة ذاته إلى أن العلاقة بينهما هي علاقة الغاصب بالمغتصب؛ حيث أنه شبه العدو الصهيوني بالضباع التي حاصرته من جميع الجهات و تريد أن تقتله بالخناجر و تطرده من وطنه. ثم يعتبرهم من أهل الروم الغزاة القساة إشارة إلى احتلاله وطنه. و مثل هذه الأوصاف و التعابير عن العدو الصهيوني المحتل نراه كثيرا في اشعار المناصرة حيث يقول في قصيدة أخرى:

البحرُ المألخ لا يُنجب عَسَلا من كنعان/ العَلَقَمُ ١١ لا يُولد من قَصَبِ السُّكَّرِ/ البَغْلَةُ لا تولدُ
مُهراً يَرعى في الهَضْبَةِ/ القِطَّةُ لا تُنجبُ أفعى/ الأفعى لا تُحلي جُحراً إلا بالفأس/ الأفعى لا ترحلُ
بالموسيقى/ الأفعى لا ترحل.../ إلا إن قُطِعَ الرَّأس (المناصرة، ٢٠٠١: ٥٦/١).

شبه الشاعر في هذه القصيدة قوات الإحتلال بالأفعى رمزا للاستعمار و الإحتلال الذي يجب استخدام القوة في سبيل طرده و إخراجه من الوطن الفلسطيني. يأتي استخدام هذه الجمل المنفية بلا النافية ليؤكد على شمولية الحقيقة التي يراها الشاعر، حقيقة قطع الأمل من العدو حيث لا يقدم خيرا إليهم و تظهر صورة الأفعى المعادل الموضوعي لذلك المفهوم.
أو في قصيدة أخرى يقول:

ما زِلْتُ أقارِعُ هذا الحِنزِيرَ البري/ و على رأسي يَنهَمُرُ المَطَرُ الكنعاني/ من بطنِ سَحابةٍ من قلبِ
العَابةِ/ تَأْتيني عَشْتارُ تَلْمِلمَني (المناصرة، ٢٠٠١: ٧٥/١).

في هذه القصيدة يتجلى صورة مقارعة الذات و (الآخر) الذي يتجلى في صورة الخنزير البري نظرا لاتصافه بالخبث و النجاسة و عدم الشعور فهو عديم الرحمة و عديم الشعور و يوحي بالوحشة و الشاعر تحت مطر كنعاني، المطر الذي يهطل من جانب السحب، و عشتار رمز أسطوري للحب و الحرب تمد نحوه يد العون. تحمل هذه الصورة، أي المقارعة و الضرب مع الخنزير البري تحت مطر كنعاني من جانب عشتار في ثناياها مفهوم التردد بين الأمل و اليأس. أو في قصيدة أخرى يقول:

جاءَ الشِّتَاءُ و أنتَ تَرْتَادِينِ آفَاقَ الشِّتَاءِ / وَ رأيتَ أشجَارَ العَذَابِ تطلُّ مِنَ قَلْبِ المَسَاءِ / لا حورَ، لا صَفصَافَ، لا زيتونَ، يَرْفَعُ رأسَهُ نحوَ المَسَاءِ / لا قَلْبَ جَدِّي العَجوزِ / يدعُو بأن يهيمِ المَطَرُ / خُطُواهُم فَوْقَ القُبُورِ الصامِتاتِ... و جَدِّي / تَمشي أمامَ الدارِ، تَصرُخُ: يا ذنابِ / فُومُوا، ارحلوا كَثُرَ الدُّبابِ (المناصرة، ٢٠٠١: ٦٧/١).

شبه الشاعر الصهاينة و قوى الاحتلال في هاتين القصيدتين مرة بالخنزير بما فيه من السوء و الوحشية و مرة بالذئب الذي معروف بالشراسة و الافتراس. فقد فاز (الآخر) الصهيوني بنصيب وافر من اهتمام المناصرة و ذلك لأن العدو الصهيوني كيان استعماري ظالم و غاشم، كان و لا يزال يمارس الإحتلال و الجرائم البشعة ضد الشعب المظلوم الفلسطيني و يسبب الخراب و الدمار و يطرد أهلها و يعتدي على حقوقهم و يأخذ منهم الأمان. و في جميع المشاهد التي يصور لنا (الآخر) الصهيوني، يصوره في اللوحات البشعة بما يدور حوله من المعاني السلبية ليبين مدى خشونة و وقاحة هذا (الآخر) و كذلك يبين مدى غضبه و غضب شعبه و كراحتهم من هذا (الآخر) الصهيوني.

أما النوع الثاني من (الآخر) فهو من أبناء وطنه و لا يختلف عنه لغة و ديناً، بل ايدولوجيا و عقيدة، و هو يوجد في كثير من أشعار المناصرة. فهو يصور لنا حقيقة مجتمعه الذي احتل من جانب و يأس بعض الفلسطينيين و عدم مشاركتهم في المقاومة من جانب آخر، فيتوقف الشاعر أمام صفات هؤلاء الذين أصابهم الخمود و الجمود، فيغضب منهم و يرسل شعره صيحة في وجه هؤلاء و ينتقدهم و ينتقد سبيلهم في عدم التدخل بأي شئ و يشكو كثرة كلامهم من دون أي عمل في سبيل المقاومة فنراه يقول عنه:

يا امرأ القيسِ إِحْدَر قَميصَكَ / حاذِر خُيوطَ مُؤامِرَةِ العَنكبُوتِ / زُدَّ الهدايا لِأصحابِها، لا تُكُنْ خائِفاً / لا تُكُنْ كُومَةً مِنَ سُكُوتِ / لِئَلَّا تَمُوتَ لِئَلَّا تموتَ (المناصرة، ٢٠٠١: ٣٠٠/٢).

اتسمت قصائد المناصرة في كثير من الأحيان باستحضار الشخصيات التراثية و القناع لاسيما قناع امرئ القيس و هو نابع من مشابحة مصاعب حياته بمصاعب حياة امرئ القيس و مطابقة بين جرحه و جرح امرئ القيس، فهو يكثر من توظيف الأساطير الكنعانية و شخصية امرئ القيس ثم يقوم بالتأمل الذاتي لينقل تجربته في صورة جميلة. يرسم المناصرة في هذه القصيدة صورة عن (الآخر) الذي من أبناء وطنه فلسطين و هم بعض زعامة المقاومة الفلسطينية الذين لا يشاركون الشاعر و سائر ابناء فلسطين المقاومين في مواجهة الاحتلال بل قد خضعوا لقوى الإحتلال و قد وقعوا في خيوط مؤامرتهم كما وصفهم المناصرة و قبلوا الهدايا و الرشوة من قوى الإحتلال و امريكا.

و في مكان آخر يرسم هذا (الآخر):

أَوْزَعُ أَسْئَلِي فِي الصُّفُوفِ / وَ يَقْرِضُنِي النَّحْلُ / كُلُّ خَلِيَّةٍ نَحْلٍ تُقَوِّمُ لِحَنَّتِهَا / لَا عُبَارَ عَلَيِ
الطُّرُقَاتِ / وَ لَا هَيْكَلٍ ١٢ فِي الْقُدْسِ / زَيْتُونَةُ الْوَعْدِ فِي مَدْخَلِ الْأَسْئَلَةِ (المناصرة، ٢٠٠١: ٢١١/١).

يشكو الشاعر في هذه القصيدة من (الآخر) الذي لا يقوم بأى عمل و لا يقدم المساعدة و المساهمة في الثورة على الاحتلال و لا يشارك أبناء وطنه في سبيل المقاومة، و يتداخل مشهد اشتغال كل نحل بعمله بالصمت دون المداخلة في أمور المجتمع، مشهد عدم وجود الغبار في الطريق، ثم يأتي المشهد الثالث حيث لا شخص و لا تمثال في القدس. لم تكن هذه المشاهد التي يصورها الشاعر واحدة تلو الأخرى إلا لتوكيد الشاعر على جمود مجتمعه و أبناء مجتمعه. فقد أخذ الشاعر يأسف عليهم و يوزع أسئلته و يسائلهم عن الوعد.

و في مكان آخر يرفع الشاعر شكواه من (الآخر) الذي من أبناء وطنه و هو القياديون الفلسطينيون الذين يكتنون من الكلام الكاذب و الباطل ليشغلوا الناس عن المقاومة و هم قد وقعوا في شرك خدعة الاحتلال و مرتع المستعمرين و سرعان ما يظهر حقيقة امرهم و كذب كلامهم، فيشبههم الشاعر بالخيول و صوتهم بصهيل الخيل و يقول:

مَرَمَرْتَنِي ١٣ آه يَا أُمِّي الْوُغُودِ / وَ صَهِيلُ الْخُطْبَاءِ / حَطَمْتَنِي سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ / لَنْ نُصَلِّيَ تَحْتَ قَاعِ
الْمِنْدَنَةِ / قَبْلَ أَنْ تُقَطَّعَ هَذِي الْأَلْسِنَةُ (المناصرة، ٢٠٠١: ٧٧/١).

إن هذا المشهد القصصي لقصيدة أغنيات كنعانية، وضعه الشاعر في سياق رؤيته التي صدر عنها منذ بداية القصيدة حيث تبدو المشاهد كلها تنويعات على إيقاع واحد يعكس وعي الشاعر بتقلبات الزمن و إدراكه أن كل شئ يؤول إلى الأفول و الزوال و الفناء، لكنه يجب أن لا يستسلم

حتى آخر لحظة من الحياة و تحقق الوعود، و أن ما يراه من كثرة كلام الزعماء الكاذب يستثير في نفسه الغضب و الأسى و يجعله يدعو عليهم بقطع الألسنة، فكل شيء أمامه كذب و وعود بلا عمل.

يجدر بنا في نهاية دراسة (الآخر) بأنواعه المختلفة في أشعار المناصرة أن نذكر أنه يوجد (الآخر) بأنواعه في أشعار المناصرة لكنه في أغلب الأحيان لا يظهر بصورة تشكيلية مستقلة في قصائده على نحو يمكن تشخيصه و محاورته. كما شاهدنا في الأمثلة، بل يستخدم المناصرة التشبيهات و الكنايات و الاستعارات و المجاز أي الصور البلاغية الراقية لتصوير (الآخر) في صور فنية و أدبية فلا يجعله في صور يمكن تخاطبه.

٥. النتيجة

في نهاية المطاف بعد دراسة الأنا و (الآخر) في شعر عزالدين المناصرة، وصلنا إلى النتائج التالية:

- التجربة الشعرية هي فرصة للأنا نحو معرفة ذاتها و تحقيق خصوصيتها و إثبات هويتها و المساعدة على تكوين الشخصية المعاصرة.
- إن تركيز المناصرة حول نفسه بارز في كثير من أشعاره حيث احتل الأنا حضورا واضحا في شعر المناصرة و هذا نابع من حرص الأنا على معرفة ذاتها و إثباتها على (الآخر) العدو و بهذا التركيز يكشف لنا عن أبعاد جديدة لواقعه و عناصر هويته.
- هناك حضور بارز لأنواع الأنا في أشعار المناصرة و منها الأنا الفردي، الأنا الجماعي و الأنا الإنساني. حيث حاول المناصرة إبراز الأنا الفردية باعتباره الشخصية المحورية التي تمسك بزمام الأحداث و يذكر مفاخره حيث ولد في الخليل و هو تأكيد على عراقته، ثم حاول إبراز الأنا الجماعي ليؤكد على صفات المقاومة و الصراع ضد الإحتلال و أخيرا حاول إبراز الأنا الإنساني لتثير أشعاره حسا مشتركا بين جميع أبناء البشر.
- التعصب العرقي الفلسطيني و الارزاء التي تحملها الشعب الفلسطيني بسبب احتلال وطنه و طرد و تشرد أبنائه، هو أساس الصورة التي رسمه الشاعر للآخر فلذلك في أغلب الأحيان يرسم (الآخر) بالتعابير السلبية كالغاصب و المحتل و يشبه (الآخر) بالذئب و الخنزير و غيرها من الأوصاف التي تدل على الوحشية و الافتراس و الخبث و النجاسة.

- عزالدين المناصرة تنبه إلى الأنا في خضم هذا الصراع الذاتي و الموضوعي إلى وضعه و انتمائه و مصيره و وجوده الحيوي و مستقبله في كل الاتجاهات ليحقق انتفاضة و ثورة في وجه (الأخر) الصهيوني و يشجّع أبناء وطنه على المقاومة و الصبر و الصمود.

الهوامش:

١. الكاتبة والمحرة و الأستاذة في جامعة بريستون الأميركية.
٢. أستاذ في فلسفة العلوم الإجتماعية بجامعة السودان.
٣. السُّلم، الطريق.
٤. جعل فيه خضرة.
٥. الدُّلو.
٦. مكان قلع الحجارة.
٧. كل شئ لرج يصاد به به الطير و نحو ذلك.
٨. شق في الجبل
٩. كرم الأصل، تقب في البذرة بالقرب من السرة.
١٠. ما يتقب به.
١١. الحنظل أو كل شيء مرّ.
١٢. الشخص و التمثال.
١٣. غضب.

المصادر

- ابراهيم، زكريا، مشكلة الإنسان، مصر: دار مصر للطباعة و النشر، د.ت.
- ابن سينا (١٩٥٢)، رسالة في معرفة النفس الناطقة و أحوالها، القاهرة.
- أبولين، زياد (د.ت)، الحداثة الشعرية عند عزالدين المناصرة، عمان: دار الصايل للنشر و التوزيع.
- أبونضال، نزيه (١٩٧٧)، الشعر الفلسطيني المقاتل، بيروت: دارالعودة.
- أغامير، محمد (٢٠١٤)، صورة الجزائر في مخيال الآخر لدى الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر، رسالة الدكتوراه، جامعة الوهران، الأستاذ المشرف: الدكتور محمد بن سعيد، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية.
- بوحلايس، سلاف (٢٠٠٩)، صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري، أطروحة الماجستير، الأستاذ المشرف عبدالرزاق بن السبع، الجمهورية الجزائرية: جامعة الحاج لخضر.
- برويني، خليل، هادي نظري منظم و كاوه خضري (١٣٩١)، «صورة ماياكوفسكي في شعر عبدالوهاب البياتي و شيركويكس»، اضاءات نقدية، العدد ٨، صص ٥٥-٧٥.
- حسيبة، مصطفى (٢٠٠٩)، المعجم الفلسفي، عمان: دار أسامة للنشر و التوزيع.

حمود، ماجدة (٢٠١٣)، اشكالية الأنا و الآخر، نماذج روائية عربية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب.

حنفي، حسن (١٩٩١)، مقدمة في علم الإستغراب: بيروت: الدار الفنية للنشر و التوزيع.
حنون، عبدالمجيد (١٩٨٤)، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
داغر، شربل (١٩٨٨)، الشعرية العربية: تحليل نصي، مغرب: دار توبقال.
السامرائي، فليح و شفاء محمد عبدالله، (٢٠١٥)، «تجليات الأنا الشعرية بدلالة الآخر في شعر فدوى طوقان»،
جامعة المدينة العالمية، العدد الرابع عشر، صص ٥١٥ - ٥٥٠.
السليمان، أحمد ياسين (٢٠٠٩)، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دمشق: دار
الزمان.

الشاوش، محمد (٢٠٠٦)، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية المعاصرة تأسيس نحو النص، تونس: المؤسسة
الجامعية للنشر.

شفيعى كدكنى، محمدرضا (١٣٨٠)، ادوار شعر فارسي، تهران: سخن.
عبيدالله، محمد حسن (٢٠٠٦)، شعرية الجذور: قراءات في شعر عزالدين المناصرة، عمان: دار مجدلاوي.
عماوي، إياد (٢٠٠٧)، الأنا و الآخر ودورها في رسم و تحديد العلاقة بين الوطن العربي و الغرب، فلسطين:
المنشأوي للدراسات و البحوث.

عيسى، فوزي (٢٠١٠)، صورة الآخر في الشعر العربي، مصر: دارالمعرفة الجامعية.
_____، (٢٠١١)، صورة الآخر في الشعر العربي، التدقيق اللغوي و المراجعة عبدالعزيز جمعه، الكويت:
مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.
غنيمي هلال، محمد (٢٠٠٣)، الأدب المقارن، الطبعة الثانية، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة و النشر و
التوزيع.

فخر رازي، محمد بن عمر (د.ت)، لباب الاشارات و التنبهات، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
فلاحى، صغرى، محمدصالح شريف عسكري، و محمد يعقوبي (١٣٩٢)، «محتوايذيرى مكان كنعان در شعر عزالدين
المناصرة»، ادب عربى، شماره ٢، صص ٢٩١ - ٣١١.

المناصرة، عزالدين (٢٠٠١)، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات مجلة إتحاد كتاب الإنترنت المغاربية.
_____، (٢٠٠٤)، الهويات و التعددية اللغوية، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، عمان: دار
مجدلاوى للنشر و التوزيع.

موريسون، طوبي (٢٠٠٩)، صورة الآخر في الخيال الأدبي، ترجمة الدكتور محمد مشبال، فاس: منشورات مشروع
البحث النقدي و نظرية الترجمة، مطبعة آنفو.

ميرقادري، مريم السادات (١٣٩١)، الصورة الفنية في شعر المقاومة الفلسطينية؛ عزالدين المناصرة نموذجاً، أطروحة
الماجستير، الأستاذ المشرف حسين كيباني، ايران: جامعة شيراز.

نامور مطلق، بھمن (١٣٨٨)، «درآمدی بر تصویرشناسی معرفي یک روش نقد ادبی و هنری در ادبیات تطبیقی»،
مطالعات ادبیات تطبیقی، سال سوم، شماره ١٢، دانشگاه آزاد اسلامی واحد جیرفت، صص ١١٩ - ١٣٨ .
النعامي، ماجد (٢٠١٣)، صورة الآخر في شعر انتفاضة الأقصى، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية،
المجلد الثاني والعشرون، صص ١٨٧-٢٣٥ .
ياسين، أحمد (٢٠٠٦)، «الآخر في الشعر الجاهلي»، أطروحة الماجستير، الأستاذ المشرف: الدكتور إحسان
الديك، نابلس: جامعة النجاح الوطنية.

References:

- Abu Laban, Z (N.D.) *The Modernity of Poetry by Azzedine Al-Manasrah*. Oman: Al-Sayel Publishing and Distribution. [In Arabic].
- Abu Nazal, N (1977). *Palestinian Warrior Poetry*. Beirut: Al-Awda Publishing. [In Arabic].
- Aghamir, M (2014). *The Image of Algeria in fiction of the other by the French writers in century 19*. PHD Dissertation. Supervisor: al doktour mohammad ibk sae'ed. University of vahrn. Democratic Republic of Algeria. [In Arabic].
- Al no'ami, M (2013). *Image of the other in poetry of The Intifada*. Islamic University journal of Humanistic Research. Vol.22. Pp. 35-187. [In Arabic].
- Al samerrae, F. & Sheaf, M (2015). *The manifestation of the poetic ego in terms of the other in Fadya Toughan's poetry*. World University al-madinah al 'lamiat journal. No. 14. Pp. 515-550. [In Arabic].
- Al shaush, M (2006). *Principles of Discourse Analysis in contemporary syntatic theories*. Tunisia: University Foundation for Publishing. [In Arabic].
- Almanasserah, A (2001). *The complete poetry works*. Publications of the Journal of the Union of the Moroccan Internet Book. [In Arabic].
- Almanasserah, A (2004). *The identity and multilingualism. Reading on a basis of Comparative cultural criticism*. Oman: Majdalawi Publishing for publication and distribution. [In Arabic].
- Alsoleimani, A (2009). *Technical manifestations of relations between the ego and the other in contemporary Arabic poetry*. Damascus: al zaman publication . [In Arabic].
- Amavi, e (2007). *The ego and the other and their role at describe and definition of relations between the arab homeland and the West*. Palestine: Manshawi for Studies and Research. [In Arabic].
- Bohlayes, s (2009). *Image of the ego and the other in poetry of Mostafa amaohammad al ghemari*. MA Thesis. Supervisor: Abd al razzagh ibn al sab'e. Algeria: Al haj Lakhza University. [In Arabic].
- Dagher, Sh (1988). *The Arabic poetical, text analysis*. Morocco: toobghal publication. [In Arabic].
- Ebrahim, Z (N.D.) *The human problem*. Egypt: Misr Publishing House. [In Arabic].
- Eesa, F (2010). *Image of the other in arabic poetry*. Egypt: al ma'refa Publication . [In Arabic].
- Eesa, F (2011). *Image of the other in arabic poetry*. linguistic process by Abd alaziz jome'a. Kuwait: The Foundation of Abdulaziz Saud Al-Babtain'S for Poetic Creativity. [In Arabic].
- Fakhr razi, m (N.D.) *labab al esharat va al tanbihat*. Cairo: Library of Al Azhar College. [In Arabic].

- Falahati, S: Others. (2013). *Location content-affecting of Canaan & its various implications in the poetries of Azzeddin Almanasserah*. adab arabi. Vol.2. Pp. 291-311. [In Persian].
- Hammod, M (2013). *The problematic of the ego and the other, the Arabic novel examples*. Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters- Council in Kuwait. [In Arabic].
- Hanafi, H (1991). *Introduction to the Astonishment*. Beirut: Technical Publishing & Distribution.[In Arabic].
- Hanoon, A (1986). *Image of French in Morocco's novels*. Algeria: University Publications. [In Arabic].
- Hasibah, M (2009). *The Philosophical Dictionary*. Oman: osama for Publishing and Distribution. [In Arabic].
- Ghonaimi Hilal, m (2003) *Comparative Literature. al tab'at al thaniat*. Cairo: Egypt renaissance for printing, publishing and distribution. [In Arabic].
- Ibn Sina (1952). *Risalat Fi Ma'rifat al-Nafs al-natiqat wa ahwaliha (The Treatise on the Knowledge about the Ration Soul and its States)*. Cairo: [In Arabic].
- Mirghaderi, M (2012). *The technical image of Palestinian's resistance poetry. Azzeddin Almanasserah for example*. MA Thesis. Supervisor: Hosein Kiani. Iran: Shiraz University. [In Persian].
- Morrison, t (2009). *Image of the other in literary fiction. Translation: d.r Mohammad Meshbal*. Publications: the project of critical research and the theory of translation. anfo Press. [In Arabic].
- Namvar motlagh, B (2009). *An introduction to the imagologie, definition of literary and technical criticism approach in comparative literature*. motale'at adabiat tatbighi. Islamic Azad University, jiroft branch. Pp. 119-138. [In Persian].
- Obaid allah, m (2006). *roots Poetic. Readings of Azzeddin Almanasserah's poetry*. Oman: majdlavi Publication. [In Arabic].
- Parvini, K; Others (2012). Image of Mayakovsky in Abdul Wahab Al-Bayati's and Sherko Bekas' Poetry "The Study of Imagology in Comparative Literature. Rays of Criticism In Arabic & Persian.vol.8. Pp. 55-75. [In Persian].
- Shafiee kadkani, m (2001). *Phases of Persian poetry*. Tehran: sokhsn. [In Persian].
- Yasin, a (2006). *The other in pre-Islamic poetry*. MA thesis. Supervisor: D.r Ehsan al-dik. Nablos :An-Najah National University. [In Arabic].